

النقد البيئي السياسي في رواية دوامة الرحيل

ندى عبدالأئمة غياض الخفاجي (طالبة دكتوراه -جامعة قم -إيران)

N ada Abdul-A'immah Ghayadh Al-Khafaji

PhD Candidate – University of Qom, Iran

د. رسول دهقان ضاد (الأستاذ المشارك – جامعة قم –إيران)

Dr. Rasoul Dehqan Zād

Associate Professor – University of Qom, Iran

د-مريم حكمت نيا (الأستاذ المشارك -جامعة قم -إيران)

Dr. Maryam Hekmatnia

Associate Professor – University of Qom, Iran

استلام البحث: ٢٠٢٥/٤/١٠ م

نشر البحث: ٢٠٢٥/٦/٣٠ م

الملخص

يُنظر إلى السياسة بوصفها سيرورة جماعية تتشكل في ظلّ التباين في الآراء والمصالح بين أفراد الجماعة، وهي عملية تفضي إلى اتخاذ قرارات ملزمة تعبّر عن سياسة مشتركة. هذا التعريف ينطلق من فرضية أساسية مفادها أنّ السياسة لا تنشأ في مجتمعات متجانسة لا تعرف الاختلاف، بل تظهر الحاجة إليها عندما تتعدد وجهات النظر، سواء حول الوسائل أو الغايات. فحيث يسود الاتفاق، تنتفي الحاجة إلى السياسة، أما حين تتصادم الآراء، يصبح النقاش والحوار ضرورة للوصول إلى قرار جماعي. ويتضح من التحليل أنّ السياسة ترتبط بوجود سلطة قادرة على فرض هذا القرار، إذ لا يكفي الاتفاق النظري، بل ينبغي وجود جهاز يضمن تنفيذ ما تم الاتفاق عليه، لا سيما في حال وجود معارضة. ومن هنا، فإنّ السلطة جزء لا يتجزأ من الفعل السياسي. كما أنّ العملية السياسية تشمل ثلاث وسائل رئيسية: الإقناع بالحجج والبراهين، ووجود معارضة تعبّر عن التعدد، وآلية عملية تفضي إلى اتخاذ القرار النهائي، مثل التصويت أو المفاوضة أو التحكيم، ما يجعل السياسة في جوهرها فنّ تنظيم الاختلاف وضبطه. في المقابل، تناولت أدبيات الحركة النسوية السياسة من زاوية مختلفة، حيث رفعت شعاراً شهيراً: "ما هو شخصي هو سياسي". ويهدف هذا الشعار إلى إعادة تعريف ما يُعتبر سياسياً، ليشمل قضايا تُعدّ في العادة من المجال الخاص، كالعلاقات الزوجية أو الحقوق داخل الأسرة، مؤكدة أنّ هذه المسائل ينبغي أن تُناقش من زاوية سياسية، لأنها تنطوي على علاقات قوة تُشبه - وإن كانت بصورة مختلفة - علاقة السيد بالعبد. أما على الصعيد الأدبي، فقد تمثلت السياسة في رواية دوامة الرحيل بإشارات متعددة موزعة على بنية الرواية، مما يجعلها تُصنّف ضمن الروايات ذات الطابع السياسي. فالرواية السياسية، بحسب هذا التوجه، ليست مجرد تسجيل مباشر للحدث السياسي، بل هي سرد تخيلي يتضمن شخصيات متعددة تنعكس فيها صراعات السلطة، والانفعالات المختلفة، والتقاطعات الاجتماعية. وتُعدّ الرواية بشكل عام من أبرز الأشكال النثرية التي تطوّرت في العصر الحديث، وتُشبه - في الثقافة العربية - فنّي السيرة والمقامة، إلا أنّ الرواية العربية الحديثة قد تأثرت بوضوح ببنية الرواية الغربية، خاصة منذ القرن التاسع عشر، بسبب حركة الترجمة والانفتاح على الثقافات الأجنبية.

الكلمات المفتاحية: النقد البيئي، النقد السياسي، النقد الإيكولوجي، الرواية العراقية، دوامة الرحيل، ناصرة السعدون، التهجير القسري، البيئة والسلطة

Abstract

Politics is considered a collective process that emerges in the context of diverse opinions and conflicting interests within a group. It ultimately leads to the adoption of binding decisions that reflect a shared collective will. This definition is based on the fundamental assumption that politics does not arise in homogeneous environments that lack disagreement or divergence. Rather, the need for politics becomes evident when differing views emerge—whether regarding the means to be employed or the goals to be pursued. In societies marked by complete consensus, political action becomes unnecessary; whereas in situations marked by disagreement, dialogue and negotiation are essential to reach a decision that satisfies most parties. Accordingly, the essence of politics cannot be separated from the presence of authority capable of enforcing decisions and applying them to all members of the group, especially in cases of opposition. Theoretical agreement alone is insufficient; instead, there must be a system that exercises legitimate power to ensure implementation. Thus, authority is a fundamental component of political practice. Moreover, politics is essentially built upon three main tools: the first is persuasion, which is based on the strength of argument and sound reasoning; the second is opposition, which expresses plurality and difference; and the third is a decisive mechanism through which a final decision is made, such as voting, negotiation, or other institutional means. Therefore, politics becomes the art of organizing and managing disagreement within society. In contrast to this traditional understanding, feminist literature has offered a different perspective, captured in the striking slogan: “The personal is political.” This slogan aims to challenge the conventional boundary between the public and private spheres by bringing issues typically regarded as private—such as marital relationships and women’s rights within the family—into the realm of political discourse. These relationships, despite their seemingly personal nature, are often governed by power dynamics and structures of dominance that resemble—at least partially—the relationship between master and slave. Ignoring them as merely “personal” overlooks their

political implications and enables the persistence of gender inequality.

In the literary domain, the political dimension is reflected in the novel *Dawāmat al-Raḥīl* (The Vortex of Departure) through scattered references and multiple situations, which categorize it as a politically-inclined narrative. The political novel, in this sense, is not a direct recounting of political events or a recording of facts; rather, it is a fictional construct that includes diverse characters, each expressing distinct viewpoints, and interacting through a web of emotions, conflicts, and social relations. The novel is regarded as one of the most developed forms of modern prose, and modern Arabic novels have been significantly influenced by Western narrative structures since the 19th century, due to the translation of numerous works. Despite this influence, the Arabic novel continues to interact with traditional literary forms such as the *sīrah* (biography) and *maqāmah* (rhymed prose narrative).

Keywords: Environmental Criticism, Political Criticism, Ecocriticism, Iraqi Novel, *Dawamat Al-Raheel*, *Nasira Al-Sa'doun*, Forced Displacement, Environment and Power.

المقدمة

يمكن تعريف السياسة بإيجاز بأنها: "السيرورة التي تتوصل بها جماعة من الناس المتبايني الآراء والمصالح أوليا، إلى قرارات وخيارات جماعية تفرض على الجماعة وترمز إلى سياسة مشتركة"^(١). ويمكن تحليل هذا التعريف الموجز فيما يأتي^(٢):

أولاً: تفترض السياسة تنوع الآراء التي تعد وسائل لبلوغ الغايات على الأقل، إن لم يكن بشأن هذه الغايات نفسها- فهي تقتضي المناقشة؛ لأن الجماعة المتفقة الآراء من دون إكراه، لا يحتاجون إلى سياسة.

ثانياً: تقتضي فكرة السياسة أن يفرض القرار على الجماعة ويطبّق بعد أن يُتخذ، يفرض بصورة متفاوتة السلطوية، فإنّها عملياً غير قابلة للفصل عن السلطان القادر على فرض القرار على أعضاء

(١) قاموس الفكر السياسي، تأليف: مجموعة من المختصين: ٣٩٧/١.

(٢) ينظر: م.ن: ٣٩٧-٣٩٩.

الجماعة المعارضة.

ثالثاً: للسياسة متضمنات حول الطريقة التي يتحقق بها اتخاذ القرار، وهي ثلاثة متضمنات: الإقناع، والمعارضة، وآلية تسمح بالوصول إلى القرار النهائي، ويتصل الإقناع بقبول الخصوم صواب الرأي المعزّز بحجج جيدة تفتح باب المفاوضة.

وبالمقابل استعملت أدبيات الحركة النسائية صيغة مفعمة، هي: ما هو شخصي سياسي، ودلالة مثل هذا الشعار ليست واضحة، فإذا كان يعني أنّ الحركة الشخصية مهمة وأنّ حقوق الرجال والنساء في علاقاتهم كأزواج مثلاً، يجب أن تصبح موضوعاً تُعنى به فقط، بالمعنى الذي يمكن ضمّته لحمايتها فهذه سياسة شخصية، لأنّ علاقة العبد بالسيد ليست علاقة سياسية^(١).

ورواية دوامة الرحيل تتضمن جانباً سياسياً مبنوياً في أماكن متفرقة، وتعرّف الرواية السياسية بأنها نوع من أنواع سرد القصص، تحتوي على عدد من الشخصيات، لكلٍّ منها اختلافاتها وتداخلاتها وانفعالاتها الخاصة، وتعدّ الروايات من أجمل أنواع النثر الفني، والأكثر تطوراً في الشكل والمضمون، ويشبهها في التراث العربي فن السيرة وفن المقامة؛ ولكن تقنيات الرواية العربية الحديثة متأثرة بالرواية الغربية مع بداية القرن التاسع عشر، بسبب ترجمة كثير من الأعمال الروائية الشرقية والغربية^(٢).

ويقتضي الجانب السياسي في الرواية وجود مؤشرات أسلوبية تشير إلى معارضة شخصية لأخرى ترتبط بالعامل الخارجي، وتتضمن أيضاً وجود مؤشرات إيديولوجية ذات طابع رمزي للتهرب من الرقابة، تتبناها الشخصيات المختلفة، مع وجود هامش حرية يفسح المجال للنقاش وتقديم الحجج لغرض إقناع الخصوم^(٣)، على أن تكون الحجج معزّزة بالصور والوثائق الكافية.

ودوامة الرحيل لناصر السعدون هي نص أدبي يوثق معاناة العراقيين بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣. الرواية تعكس التحولات السياسية والاجتماعية العميقة التي مزّقت المجتمع العراقي، عن طريق سرد يدمج بين الشخصي والوطني، وسنحلل ذلك فيما يأتي من المطالب:

أولاً: البيئة بين فرض القوانين السياسية التعسفية وخيانة الوطن:

تسمّى القوانين التعسفية بعقد الإذعان، الذي يُقيد سلطة القاضي بإنشاء علاقات قانونية غير متكافئة، غايتها تحقيق المصلحة الفردية من دون مراعاة المصلحة العامة ومبادئ العدالة، وما تقتضيه من تحقيق

(١) ينظر: م.ن: ٣٩٨.

(٢) ينظر: دراسات في نقد الرواية، طه وادي: ١٧.

(٣) ينظر: دراسات في نقد الرواية، طه وادي: ١٧.

التوازن وحماية الطرف الضعيف في العلاقة التعاقدية^(١).

تقول الراوية: "ضحكت ردينة ضحكة كالبكاء،" ما إن دخلت مكتبي حتى سلمتني سكرتيرة القسم أمر فصلي من عملي في كلية الطب!". شهقت إباء، "فصلك! لماذا؟ وما السبب؟". "يقولون إنه قانون جديد يسمونه اجتثاث البعث".

"لكنك لست منتمية لأي حزب؟". "قلت لهم ذلك، فردّ عليّ وجه جديد من الوجوه التي لم نرها من قبل، وقال: اثبتني أنك لست من أعضاء حزب البعث. "هزّت رأسها بأسى، "حاولت، وحاول الزملاء معي إقناعه دون جدوى. ففي هذا الزمن، المتهم مذنب حتى يثبت براءته. "هزّت رأسها بأسف"^(٢).

أصدر هذا القانون بعد غزو العراق عام ٢٠٠٣ الحاكم المدني الأمريكي في العراق (بول بريمر) بالتعاون مع القوى السياسية التي جاءت مع الاحتلال آنذاك، أصدر قراراً بتشكيل لجنة "اجتثاث البعث" التي تغيّر اسمها في ما بعد إلى "هيئة المساءلة والعدالة"^(٣).

وعلى وفق ذلك، حلّ الجيش وطُرد كلّ من يُعتقد أنّه كان عضواً في حزب البعث من الوظائف الحكومية. واستمر وجود هذه الهيئة بعد إقرار الدستور الدائم الذي نصّ في الفصل الثاني منه، الأحكام الانتقالية في المادة ١٣٥، على مواصلة "الهيئة الوطنية العليا لاجتثاث البعث" أعمالها بوصفها هيئة مستقلة، ولضمان حماية هذه الهيئة وقانونها اشترط حلّها في البرلمان بأغلبية مطلقة^(٤).

ويظهر النقد السياسي اللاذع في السخرية التي قيلت على لسان ردينة أم إباء بقولها: (فردّ عليّ وجه جديد من الوجوه التي لم نرها من قبل)، وفي انقلاب منظومة القيم الحقوقية التي تعامل المتهم بأنه بريء حتى تثبت إدانته، هذه المقولة التي تراعي حقوق المتهم بالدفاع عن نفسه، وتقديم الشهود والأدلة على براءته، والاستعانة بمحام، وحق النقض إلى غير ذلك^(٥)، هذه انقلبت إلى خلاف ذلك بقول الراوية: (المتهم مذنب حتى يثبت براءته).

وتشير الراوية إلى خرق القوانين القائمة وإنشاء قوانين جديدة تعزّز سلطة الجماعات بالمال والمناصرين للمحتل، إذ تُفصل ردينة من الوظيفة، لتحلّ محلها السكرتيرة، بشهادة مزورة، وتسجل

(١) ينظر: ينظر: مصادر الالتزام في القانون المدني الكويتي، نظرية العقد والإرادة المنفردة، عبد الفتاح عبد الباقي: ١٨١.

(٢) دوامة الرحيل: ٣٦.

(٣) قانون الهيئة الوطنية العليا للمساءلة والعدالة، رقم (١٠) لسنة ٢٠٠٨م.

(٤) ينظر: قانون اجتثاث البعث يخلق أزمة في الأوساط العراقية.. فهل يُلغى، محمود النجار، مقال متاح على الموقع الإلكتروني: www.tatarabi.com

(٥) ينظر: الحرية الشخصية للمتهم في إطار نظام الإجرائية، دراسة تطبيقيّة تأصيلية، د. كمال محمد علي الصغير: ٤٥٧.

العيادة باسمها، وعندما تعترض ردينة على هذا الخلل القانوني، تتعرض للعنف، تقول الراوية: "مدّ الرجل بورقة أخرى لتقرأها، ففعلت. وكانت شهادة تخرج من الكلية الطبية باسم السكرتيرة ويعود تاريخها إلى ما قبل خمس سنوات، فصاحت، "هذه شهادة مزورة..".

عاجلها الرجل بصفعة أدارت وجه الطبيبة، وقال، "من أنت حتى تتهمينا بالتزوير. هل نسيت أنك مفصولة من الكلية الطبية؟ إن لم توقعي التنازل، لن تعودى إلى أهلك." ووضع المسدس في صدغ الطبيبة، فوضعت توقيعها على التنازل. وبهذا خسرت عيادتها بجرة قلم^(١).

بهذه الطريقة تشكلت مجاميع وأحزاب متباينة كانت الأكثرية منها تتبنى أسلوب العنف، أما المعتدلون فكانوا ضعفاء ويمثلون أقلية؛ لذلك تركوا مواقعهم، قال بعض الباحثين: "ولا تحدث إعادة البنية العنيفة للمجتمع إلّا عندما يترك المعتدلون غير القادرين على حلّ المسائل الموروثة من النظام القديم مكانهم للراديكاليين"^(٢).

تقول الراوية: "رفعت ردينة رأسها وأدارت عينها بين أهلها، لم تنته الحكاية بعد يا باسل. تنهّدت، وساد الصمت، والكلّ ينتظر أن تكمل حكايتها. "خرجت من العيادة غير مصدقة أنّي ما زلت على قيد الحياة. وتوجهت إلى سيارتي وأنا عازمة على تسجيل شكوى في أقرب مركز للشرطة ضد السكرتيرة وأعوانها. عند باب السيارة، رأيت مجموعة أخرى من الرجال يتفحصون سيارتي. اقتربت، فقال لي أحدهم، "المفاتيح...". سألته، "أي مفاتيح؟ لقد أخذوا مفاتيح العيادة قبل مغادرتي."

ضحك، "وكيف تريد أن تنتقل الدكتورة لزيارة مرضاها؟" ثم عبس وصاح بوجهي، "مفاتيح السيارة ألا تفهمين يا دكتورة؟". "وكيف أعود إلى بيتي؟". رد ساخراً، "تكرّمت الدكتورة باستئجار سيارة تأخذك إلى بيتك، ولشدة كرمها، دفعت الأجرة مقدماً."^(٣)

وعن طريق شخصية "منير"، الذي هو زميل إباء وحبيبها، تقدّم الرواية نقداً لاذعاً للنخب التي استغلّت الاحتلال لتصعد سياسياً ومادياً على حساب القيم الوطنية. تقول الراوية: "سمعت من بعض الزملاء أنّ منير صار من الشخصيات المتنفذة في الجامعة، ويسير جنباً إلى جنب مع أشخاص برزوا فجأة على سطح الأحداث، وصارت لهم مكانة مرموقة، بعدما أراحوا الأساتذة والإداريين القدماء عن مواقعهم. كما سمعت أنّه صار يتباهى بحمل (الباج) الذي يؤهله للدخول إلى المنطقة الدولية، التي صار الجميع يعرفها باسم المنطقة الخضراء، والخروج منها. صادفته أكثر من مرة وهو يسير متبخترًا، إلى جانب بعض الشخصيات التي تبدو مهمة، ويسابق رجال حماياتهم ليكون أقرب ما يمكن من هؤلاء.

(١) دوامة الرحيل: ٣٨.

(٢) قاموس الفكر السياسي، مجموعة من المختصين: ٢٠٤/١.

(٣) دوامة الرحيل: ٣٨.

استهجن خنوعه الواضح، لكن لم تشارك في تعليقات زملاء عن تصرفاته^(١).

وترى نظرية الإشارة أن أسلوب السخرية يوظفه المتكلم في التحقير والاستهزاء والتهكم، وليس في المديح والثناء والتقدير. وهي فكرة شائعة في دراسات السخرية السابقة لنظرية الإشارة، فقد ذكرها هربرت جرايس (Grice Herbert)^(٢).

وتظهر السخرية ذلك في قول الراوية: (كما سمعت أنه صار يتباهى بحمل (الباج)، وقولها: (صادفته أكثر من مرة وهو يسير متبخرًا)، وقولها: (ويسير جنبًا إلى جنب مع أشخاص برزوا فجأة على سطح الأحداث)، وكأنه أنجز إنجازات وطنية كبيرة تعبّر عن الفخر. (منير) يعكس صورة فئة من المجتمع العراقي التي كانت على استعداد للتضحية بالمبادئ من أجل تحقيق مصالح شخصية.

ثانياً: البيئة بين سياسة الهجرة والحرب:

يمثل قرار الهجرة رفضاً سياسياً للنظام السياسي الذي فشل في توفير أبسط حقوق المواطنين، وهي ضمان الأمن والأمان والعلاج في المستشفيات. تقول الراوية: "حين اتخذت قرار الرحيل عن بغداد، فوجئ أقاربها. استنكره أكثرهم وحاول بعضهم ثنيها عن القرار لكونها أصبحت أنثى وحيدة لم يعد ثمة رجل يحميها ووالدتها. لا بل تجرأ أحدهم ليقترح أن تتزوج بأحد شباب العائلة ليرعاها وتظل في حماية عائلتها." لكنها ردت على الجميع ببضع كلمات: "أمي تحتاج لرعاية طبية لم تعد متوفرة في بغداد"^(٣).

وتقول الراوية: "المشكلة أنني لو رفضت اللجوء إلى الولايات المتحدة، فلا أظن أنهم سيروجون معاملي... من جهة أخرى، كيف سأنظر بوجوه الأمريكان، وأرى في كل واحد منهم قاتل أبي...". "معك حق في هذا، لكن يجب أن نكون واقعيين. ربما هذه فرصة لك لبداية جديدة...". "كم تمنيت أن أبدأ حياة جديدة... لكن في أمريكا من دون العالم! كيف سأنظر في وجوههم... وأسمع أصواتهم... أية بداية هذه يا باسل؟"^(٤).

لقد فككت أمريكا الاتحاد السوفياتي بالحرب الباردة، واقتضت حمايتها لمنطقة الخليج العربي تأسيس قوة الواجب المشتركة للتدخل السريع في آذار عام ١٩٨٠م، وقوامها (٢٠٠.٠٠٠) جندي، لحماية المنطقة من تمدد الاتحاد السوفيتي نحو المياه الدافئة^(٥). وعندما غزا العراق الكويت، تقرر سحقه على

(١) دوامة الرحيل: ٢٢.

(2) See: Grice, H. P. (1978). Further Notes on Logic and Conversation. Syntax and Semantics, vol. 9, p 113-114.

(٣) دوامة الرحيل: ٩.

(٤) دوامة الرحيل: ١٥٤.

(٥) ينظر: الاستراتيجية الأمريكية في المحيط الهادي، محمد جواد علي: ٧٨-٧٩.

مراحل: المرحلة الأولى تدمير جميع البنى التحتية وتحرير الكويت، ثم الحصار الاقتصادي الذي سبب في هلاك مليون ونصف طفل عراقي^(١)، ثم احتلال العراق احتلالاً مباشراً، بالتعاون مع قوى المعارضة، وكانت أسرة البطل من ضحايا الانفلات الأمني الذي أباحه الأمريكان؛ لذلك كرهت اللجوء إلى أمريكا، لكنها كانت مجبرة لا خيار بين يديها إلّا هذا.

وتوثق الراوية دمار المرحلة الأولى بقولها: "وقالت بصوت خافت، "في عام 1991 أغارت الطائرات على بغداد، والعراق كلّ، وانهمرت الصواريخ، وعلى مدى واحد وأربعين يوماً لم تتوقف ليلاً أو نهاراً. ودمروا كلّ شيء. أرادوا أن تتوقف الحياة في هذا البلد. "أزاحت المنديل عن عينيها، ونظرت إليه، "حين أقول كلّ شيء، أعني كلّ شيء بالفعل. الطرق، الجسور، المستشفيات، المدارس، الجامعات، الجوامع، الماء، الكهرباء، المجاري، المعامل، النفط، الغاز، كلّ شيء. ثم أعلن الرئيس الأمريكي وقف إطلاق النار"^(٢).

وبعد ذلك حصلت حملة إعمار شعارها (تبّاً للمستحيل)، التي كتب عنها أحمد صبري قائلاً: "وفي جلسة استذكار مع احد المشاركين بحملة الإعمار أوضح أنّ حملة الإعمار شارك فيها الجهد الوطني الجماعي للدولة العراقية، التي كرست جهودها لإزالة آثار العدوان، وكان منجزها الكبير إعادة الحياة بإعادة تأهيل وإصلاح ٧٠٠ مشروع طاله العدوان من مشاريع الخدمات والطرق والجسور والكهرباء وقطاع البترول ومباني وزارات الصحة، والتعليم العالي والبحث العلمي، والحكم المحلي، والعدل والاعلام بوقت قياسي لا يتجاوز ٤ اشهر"^(٣).

وتوثق الراوية هذه الحملة بقولها: "ما إن توقف القصف وحلّ الهدوء، حتى بدأ العمل. شارك الجميع فيه. الشعب والحكومة. الشيوخ والشباب وحتى الأطفال. سمينها آنذاك حملة إعادة الإعمار، وكان يعارها تبّاً للمستحيل. بعد شهر، عادت الكهرباء لتعمل بضع ساعات يومياً، ثم لحقت لها شبكة الهاتف. ثم منشآت النفط، والطرق والجسور. وما إن مرّ عام ونيف حتى أعيد بناء جميع الخدمات، بالرغم من الحصار الذي شددت الأمم المتحدة شروطه على العراق. وعادت عجلة الحياة إلى وتيرة تقرب من الطبيعية، ولولا الحصار الأممي، لتقدم العراق خطوات كبيرة إلى أمام"^(٤).

وتقول الراوية: "اختفت الابتسامة عن وجه ردينة، وحلّ محلها حزن عميق، تنهدت وقالت بجديّة،

(١) ينظر: درء المجاعة عن العراق، مذكراتي عن سنين الحصار (١٩٩٠-٢٠٠٣م)، محمد مهدي صالح الراوي: ٧٤.

(٢) دوامة الرحيل: ٢٦٠.

(٣) ينظر: تبّاً للمستحيل.. حملة لا تضاهيها حملات، أحمد صبري، مقال متاح على الموقع الإلكتروني لصحيفة الوطن،

الصفحة الرئيسية: www.alwatain.com

(٤) دوامة الرحيل: ٢٦٠.

"لقد تابعت التظاهرات والاعتصامات آنذاك، وكان لديّ بعض الأمل في الديمقراطية الأمريكية بعدما رأينا صور 03 مليون متظاهر في العالم ضدّ الحرب. لكنّ زوجي كان له رأي مختلف، إذ كان يكرر القول، "إرادة دعاة الحرب أقوى من دعاة السلام، وأكثر تنظيماً؛ لأنّ لديهم مصالح يريدون تحقيقها". ولم أشأ تصديقه حتى بدأت أولى الصواريخ بالسقوط علينا.."^(١)

يشير هذا النص إلى أنّ إرادة الدولة العميقة أقوى من إرادة الجماهير، وتعني الدولة العميقة، وجود مجموعة غير مرئية وعميقة التجذر، غير خاضعة للمساءلة أو المحاسبة، تسيطر على صنع السياسات الداخلية والخارجية للبلاد، وتتخفى تحت السطح المظهري للنظام الديمقراطي^(٢).

قالت الراوية: "طرح لينك أسئلة عديدة عن الوضع في العراق بعد الاحتلال. وردّت عليه رديئة بإفاضة، أخبرته بكيفية اعتقال زوجها، وتعذيبه ومن ثمّ قتله. وسأل عن تفاصيل الأحداث، فلم تبخل عليه بها"^(٣).

كان هذا القتل والاضطهاد المجاني نتاج ما سمّاه الأمريكيان بـ(الفوضى الخلاقة)^(٤)، والفوضى عادة ما يكون لها غايات تصبّ في مصلحة من يقوم بإحداثها، والخلاقة تعني سقوط النظام السياسي القائم، ولاسيما إذا كان نظاماً شمولياً، وهو ما ولد ثورة، وانهيار الدولة، ونشوء صراع على السلطة، وقيام مؤسسات مالية وعسكرية وقانونية جديدة، وهذه العناصر الثلاثة لا تجري على وفق مراحل مفصولة عن بعضها فصلاً واضحاً ولا تحدث بترتيب منطقي معقول، إنّهُ أشبه بالجنون^(٥).

وسُميت أيضاً بثورات الربيع العربي، التي انطلقت من تونس بعد واقعة حرق (محمد بعزيزي) نفسه في ١٧/١٠/٢٠١٠م، وانتقلت إلى مصر وليبيا واليمن، بتحريض من الإعلام الغربي وتمويل قطري، التي تحوّل فيها التنوّع الطائفي والإثني في الوطن العربي إلى منتج للتدمير الخلاق وأداته الديمقراطية المنفلتة، التي هي كلمة حق يُراد بها باطل^(٦).

هكذا تشكلت العصابات المسلحة، وأصبح لها سلطة، تقول الراوية: "أشارت رديئة لدينا وباسل

(١) دوامة الرحيل: ٢٠١-٢٠٢.

(٢) ينظر: الدولة العميقة، محاولة لضبط المفهوم، علي الجرباوي، بحث منشور: ٩-١٠.

(٣) دوامة الرحيل: ٢٠٧.

(٤) الفوضى الخلاقة Constructive Chaos: هي حالة سياسية أو إنسانية يتوقّع أن تكون مريحة بعد مرحلة فوضى متعمّدة الإحداث، ويعتقد أنصار الفوضى الخلاقة بأنّ خلق حالة من عدم الاستقرار؛ سوف يؤدّي حتماً إلى بناء نظام سياسي جديد، يوفر الأمن والازدهار والحرية. غير أنّه عادة ما يكون لها أهداف أخرى تصبّ في مصلحة من يقوم على إحداثها. ينظر: الفوضى الخلاقة، الربيع العربي بين الثورة والفوضى، رمزي المناوي: ١٢.

(٥) ينظر: قاموس الفكر السياسي، مجموعة من المختصين: ١/١٩٩.

(٦) ثورات الربيع العربي، د. صلاح جواد شبر: ١٤.

فجلسا بدورهما على السرير. بدأت تروي لهم ما حصل كأنها تحكي قصة من ألف ليلة وليلة. "كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، طبيبة لديها عيادة في منطقة من بغداد، مذ كان اسمها مدينة الثورة، ثم صار اسمها مدينة صدام، وأصبحت الآن مدينة الصدر. وتعمل في العيادة سكرتيرة شابة من أهالي المنطقة. وهي مجدة في عملها، حريصة على راحة المرضى، تثق بها الطبيبة كل الثقة.

اليوم عملت الطبيبة حتى خلت العيادة من المرضى. نادى السكرتيرة، فتأخرت في القدوم على غير عادتها. ثم دخل عليها مجموعة من الرجال الملتهمين، ووراءهم السكرتيرة. فوجئت الطبيبة، "من أنتم وماذا تريدون؟". دفع أحدهم إليها بورقة، "وقعي هذا التنازل ولن نتعرض لك بسوء"^(١).

وخطورة هذه الجماعات هي أنها تحمل فكرا تكفيريا للآخر، وكان يسوغون ذلك بأنّ الحاكم كان طاغية، ويحملون مسؤولية طغيانه على عاتق كل من تعاون معه على إدارة الدولة، والتكفير عندهم "يشمل على كل من اعترض على الحاكم، سواء أكان ذلك الاعتراض شخصيا، أم علميا، أم سياسيا، أم فقها. فالكفر هو العنوان الكبير الذي تدور حوله المدارس الإسلامية التي انطلقت في ذلك الوقت مثل: الأشاعرة والمعتزلة والخوارج والمرجئة... وهنا تحول الأمر الاجتماعي إلى أمر تشريعي، مع أنّ الحركة الاجتماعية متغيرة والدين بأحكامه ثابت"^(٢).

ومن صور الفوضى الخلاقة، الصراع الطائفي الذي حدث بالعراق بعد الاحتلال، الذي خلف ما لا يقلّ عن أربعة ملايين يتيم ومليونى أرملة، وازدادت نسبة البطالة حتى بلغت أكثر من ٤٠%، وكان نصف الشعب العراقي يعيش على وارد يقلّ عن الدولارين في اليوم، وقد أشار (ستيوارت بومين) المفتش الأمريكي عن ضياع ٨.٧ مليار دولار من أصل ٩.١ من الأموال التي خصصتها أمريكا مساعدات للعراق بعد ٢٠٠٣م^(٣).

وتشير الرواية إلى أنّ سرقة الممتلكات العامة والخاصة لم تقتصر على العصابات المنفلتة فحسب، بل تشير إلى الجنود الأمريكيين عندما يفتشون البيوت للبحث عن أسلحة، تقول الرواية: "بدأت حديثها بهدوء معلق سياسي يظهر على شاشة التلفزيون، "باختصار، الجنود الذين ذهبوا إلى العراق وغيره، ذهبوا بمحض إرادتهم. وهناك قتلوا ودمروا وسرقوا ونهبوا. إنهم لم يحاربوا جيش العراق، بل دخلوا من دون قتال تقريبا، أليس هذا ما يتباهى به قادتك؟ من هم الذين قتلهم الجنود إذن؟ أليسوا جميعاً من المدنيين؟" تصاعدت نبرة العداء والكراهية التي تملأ نفسها، "هل ستقول لي أنه خدعهم لكي يرتكبوا كلّ هذا؟ لا أحد يمكنه خداع أو إجبار غيره على ارتكاب القتل والتدمير والسرقة. فعلوا كل ذلك لأنهم

(١) دوامة الرحيل: ٣٨.

(٢) ثورات الربيع العربي، د. صلاح جواد شبر: ١٢-١٣ (المقدمة).

(٣) ينظر: ثورات الربيع العربي، نظرة من الداخل وعامل ثقافة التشيع، د. صلاح جواد شبر: ١٢-١٣ (المقدمة).

مجموعة من القتل والصوص والمجرمين. ونقول اليوم إنهم نادمون؟ ويريدون رمي الميديات التي حصلوا عليها؟" هز رأسه موافقاً^(١).

لم يكن وصف الروائية مبلغاً فيه، بدليل ما يرى صاحب كتاب (الولايات المتحدة في العراق جريمة إبادة جماعية) أن الغزو الأمريكي كان وما يزال نتيجة ثانوية من مواقف السياسة الأمريكية تجاه العراق، التي تتطلع لإحداث مأساة إنسانية هي عنصر أساسي في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، وأن عجز المجتمع الدولي عن منع الغزو والاحتلال ودعمه لعملية الإبادة الجماعية في العراق بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في العراق التي بدأت في عام ١٩٩٠م يمثلان خيانة أكيدة لإنسانية الشعب العراقي والإضرار به^(٢).

ثم عجل الاحتلال الأمريكي في ظهور النزاعات الفكرية والخلافات الاجتماعية إلى السطح في عراق ما بعد عام (٢٠٠٣م)، وقاد ذلك إلى اشتداد لهجة الخطاب المستعمل في أوساط التيارات السياسية، وكذلك في التعامل مع نظرائهم من الجماعات الأخرى، مما أدى إلى الانفلات الأمني الذي أعقب الاحتلال، وقد زاد ذلك في تعميق النزاعات الفكرية والسياسية والاجتماعية بين الأطراف والمكونات المختلفة، هذه النزاعات التي كانت مؤجلة في السابق، وبدأت هوة الاختلاف بالانتساع حتى وصلت إلى الصدام الدموي أحياناً، إن كل هذه التطورات التي تعرض لها المجتمع العراقي، جاءت نتيجة الصعوبات التي واجهت بعض القوى السياسية والدينية والاجتماعية، الأمر الذي أفرز عن أحداث اكملت عملية تفكيك الهوية الوطنية العراقية بعد أن مهد لها الحصار المفروض قبل الاحتلال من قبل الأمم المتحدة، الذي ضرب في عمق النفس العراقية ومكوناتها الأساسية^(٣).

تقول الراوية: "وسجل باسل الشكوى، وبعد مراجعات عديدة، أصابه اليأس من تحرك الشرطة لمتابعة الموضوع، أما نقابة الأطباء، فقد أيقن أن النقابة مكبلة لا تستطيع شيئاً. وبقيت الشكوى حبيسة الأدرج.

انضمت الدكتورة ردينة إلى ابنتها ودينا. مازحتهم ردينة، "يجب أن أغير جواز سفري ليكتب في خانة المهنة (ربة بيت) بدل طبيبة." وقمن بحملة واسعة لإعادة تنظيم البيت، وتغييره. وصارت ردينة تفتح الدرج السري في خزانها لتخرج منها قطعاً من المصاغ تباعها ديना لسد احتياجات البيت بعدما

(١) دوامة الرحيل: ٢٣١.

(٢) ينظر: الولايات المتحدة في العراق جريمة إبادة جماعية في العراق تحت الاحتلال تدمير الدولة وتكريس الفوضى، مركز دراسات الوحدة العربية: ١٣.

(٣) ينظر: الاحتلال الأمريكي للعراق، وإشكالية بناء الدولة (٢٠٠٣-٢٠١٤م)، إعداد الطالب: علي صباح صابر، رسالة ماجستير: ١٦٩.

أصبحت بلا دخل^(١).

ولم يكن غزو العراق قانونياً، إذ: "لم يلق الاحتلال الأمريكي للعراق قبولاً من الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن - سوى بريطانيا - ولا الدول الأخرى غير الدائمة العضوية، ولم يحظ بموافقة المنظمات الدولية والإنسانية سيما الأمم المتحدة، لذا فهو قرار لا يستند إلى الشرعية الدولية، ومنتكح لكل المواثيق والأعراف الدولية وتحديدًا ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي، وهو قرار انفرادي شخصي مبني على ذرائع ومسوغات مظلمة لا أساس لها من الحقيقة يرمي إلى خدمة مصالح إمبريالية صهيونية مشتركة"^(٢).

وبإزاء هذا التجبر والاستكبار العالمي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وانفراد أمريكا بالهيمنة على العالم، لا يجد المرء المسلم إلّا اللجوء إلى السلطة الإلهية القاهرة لكلّ الجبابرة، تقول الراوية: "يقال إنّ كلّ شيء يبدأ صغيراً ويكبر بمرور الأيام، إلا الحزن، فهو يبدأ كبيراً، وتقوم الأيام بدورها، حتى يخبو أواره، لكنّه لا يتلاشى، بل يظلّ جرحاً غائراً يزداد عمقا. مرّت أيام وإياء بين اليقظة والنوم بفعل المهدئ الذي يزرقه باسل في أوردتها لتهدأ. ثم استيقظت في اليوم الثالث قبيل صلاة الفجر، فنهضت وتوضأت وبدأت تصلي. مع السجدة الأولى انثالت في ذاكرتها أحداث الفترة الأخيرة... الاحتلال.. اللقاء القبض على والدها... فصل أمها من عملها... وفاة أبيها... سرقة العيادة والسيارة من أمها.. اختطاف بارق وقتله غدراً... وأخيراً الجلطة التي توشك أن تقتل أمها. هل هذه حياتها، أم هي فيلم هندي تسخر من مأساويته؟ ورفعت رأسها، "الله أكبر..."^(٣).

شبهت الراوية المأساة التي حصلت لها بـ(الفلم الهندي)، إذ تتبع الأفلام الهندية سبع قواعد يقدها المنتجون والمخرجون الهنود، وأهمها ثلاث^(٤)، أولاً: البطل يغرق في السيل الذي يحمله إلى أميال بعيدا عن داره، وينقذه شخص له صلة قريى معه، وثانيها: افتراق أخوين منذ الطفولة بكارثة طبيعية أو حادث قطار، ويصبح أحدهما شرطيا مخلصا، والآخر شقي، وحين يحتم الواجب إطلاق النار على الشقي تنكشف علامة فارقة ويجتمع الشملان، ثالثها: التحولات واردة، فالناس أحيانا يكره بعضهم بعضا إلى درجة القتل، ثم فجأة يتحابان إلى درجة البكاء.

وهذه القواعد ستطبقها الراوية، وهي التي تتكفل بتحويل مأساة بداية دراما الفلم الهندي التي حدثت في العراق إلى النهاية السعيدة التي قد تحلّ فيها الأزمة في الهجرة إلى أمريكا، وبينهما فاصل التحول

(١) دوامة الرحيل: ٤٠.

(٢) التحديات الأمنية للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط في ما بعد الحرب الباردة، سعد شاكر شبلي، رسالة ماجستير: ١٢٩.

(٣) دوامة الرحيل: ٦٠.

(٤) رواد السينما الهندية، نوزاد جعدان: ١١٨.

وهو التفكير بالهجرة في ساعات السكينة والتأمل والدعاء، تقول الراوية: " ظلت على سجادتها تفكر. كان تفكيرها واضحاً، كأنما قد انزاح عنها ضباب القهر، وحلّ محله هدوء التصميم. أصبحت وحيدة في عالم غريب لم تعد تفهمه. عليها الآن تحمّل مسؤولية كلّ شيء. صارت تحتاج لكلّ قدراتها على التفكير والتخطيط لمستقبلها ومستقبل أمها.

لم يعد لديها من يتحمّل المسؤولية عنها. لم تعد تملك ترف الحزن، بل عليها مواجهة الحياة، فهي وحيدة لا أحد تستند عليه. فما العمل؟! نظرت إلى ساعتها، ولاح أمام عينيها وجه منير.. فابتسمت بأسى، ثمّ تذكرت نبرات صوته الباردة القاسية، وتذكرت تلفّته يميناً وشمالاً خشية أن يراه أحد وهو يكلمها في رواق الكلية، وتذكرت عدم حضوره مجلس عزاء والدها. انهالت دموعها...^(١).

تمثّل شخصية (منير) شخصية الحبيب الخائن الجبان، الذي لا يصلح أن يقدّم حماية لحبيبتة، ويمثّل البكاء رمزا للفرار من هذا البلد الذي لم يبقَ فيه شيئاً اسمه الأمن والأمان، ولا السلام؛ لذلك لابدّ من الفرار من بطش الأهل إلى الأمريكان، الذين تظهر منهم شخصيتان الأولى شخصية (جولي) صديقة رديئة في الجامعة الأمريكية التي لم تأخذ دوراً سياسياً، وإنّما اجتماعي، وتلميذ أمريكي يحبّ إباء اسمه (لينكولن إيسود)، لكن إباء تخشى من أن يكون جندياً أمريكياً خدم في احتلال العراق أو أفغانستان؛ لأنّه أكبر الطلاب سنّاً.

تقول الراوية: "مع الفجر دعت ربّها أن يمنحها القوة على مجابهة لينك إيستود وتجاهله، إذ لابدّ من رؤيته اليوم في امتحان التخطيط الحضري. لن تجعله يفسد عليها الامتحان، يجب أن تركز على دراستها. دراستها أهمّ من هذا الجندي في قوات الاحتلال. من المؤكد أنه كان جندياً، سواء في العراق أو أفغانستان، فهو أكبر سنّاً من بقية الطلبة، مما يعني أنه أمضى بضع سنوات يقتل ويدمر، لكي يمول دراسته. هذا أكيد... ليس ثمة شك.."^(٢).

جمعت الراوية بين احتلال أفغانستان والعراق، لأنّ أمريكا استغلت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١م، لشنّ الحرب على الإرهاب، إذ بادر الرئيس بوش بإطلاق شعاره المتعلّق بالحرب العالمية ضدّ الإرهاب فقال: "إنّ حربنا ضدّ الإرهاب يبدأ بالقاعدة ولكنها لا تنتهي عندها، ولن تنتهي هذه الحرب إلّا عندما يتمّ القبض على كلّ مجموعة إرهابية دولية بإيقافها وتحطيمها. ومنذ اليوم الأول، فإنّ كلّ أمّة تستمر في احتضان أو دعم الإرهاب ستعتبرها

(١) دوامة الرحيل: ٦٠.

(٢) دوامة الرحيل: ٢٢٧-٢٢٨.

الولايات المتحدة نظاماً معادياً لها^(١).

وتقول الراوية: "عاد إلى مائدته وقد امتلأت نفسه بالحيرة. ما الذي تملكه هذه الفتاة لتتميز عن غيرها ممن يعرف؟ لماذا يزداد اهتمامه بها يوماً بعد يوم؟. أحسّت أنّ مشاعرهما المضطربة تجعلها تخون ذاتها.. ما الذي يجري في أعماقها؟ هزّت رأسها لتبعد الأفكار المتضاربة عنها. ستفكر بهذه الأمور يوم غدٍ. كما قال الشاعر امرؤ القيس حين أبلغوه بمقتل والده، وكان في جلسة سمر: اليوم خمر، وغداً أمر. وفي اليوم التالي خرج للأخذ بثأر أبيه"^(٢).

ثالثاً: البيئة والتعبير الديمقراطي:

بعد انتصار الاقتراع العام في الغرب بين عامي ١٨٤٨ ونهاية القرن التاسع عشر، ارتبطت النظرية والممارسة الديمقراطية بمسائل البناء الديمقراطي للأمم، بمماثلتها بحق تقرير المصير الجماعي، وعلى أساس ذلك فإنّ الدول تعلن عن نفسها ديمقراطية حتى حين لا تكون حكوماتها ديمقراطية^(٣).

ويستغل (لينك) هذه الفسحة في بلاده، للكشف عن الاستبداد الحكومية الأمريكية وعدوانيتها على الشعوب، تقول الراوية: "تسارع نبضه خشية رفضها، بعدما وعد المنظمة بتبليتها الدعوة للمشاركة في التجمع،" أعرف ذلك، لكنك عراقية وعشت في ظروف الاحتلال الأمريكي لبلادك. المطلوب هو فقط التحدّث عن تجربتك الشخصية بهذا الشأن..^(٤)

وتقول أيضاً: تحمس إذ أحسّ بقدرته على إقناعها للدفاع عن قضية وطنها، "عدد كبير من الناشطين ضدّ الحرب في العراق وأفغانستان، فضلاً عن عدد من الجنود العائدين من هناك ويشعرون بالندم لما فعلته قواتنا هناك. وسوف يقوم بعضهم برمي الميداليات التي حصلوا عليها لقاء خدمتهم هناك.. تعبيراً عن رفضهم لهذه الحروب.. لهذا السبب نريد أن نتحدث مع الحاضرين لكي نزيد الوعي بخطأ ما حصل ويحصل، من أجل الدعوة لسحب قواتنا من هناك"^(٥).

وحينما ترى إباء أنّ ديمقراطية أمريكا تعتمد على العنصر العاطفي (الندم، وسحب القوات)، تُصبح خصماً للديمقراطيين. فتحتاج لينك بالمبادئ المجردة نحو: الاعتراف بالخطأ، والتعويض عن الإضرار،

(١) وثيقة خطاب الرئيس بوش الابن أمام الكونغرس بتاريخ 20 أيلول ٢٠٠١م، وينظر: الاحتلال الأمريكي للعراق، وإشكالية بناء الدولة (٢٠٠٣-٢٠١٤م)، إعداد الطالب: علي صباح صابر، رسالة ماجستير: ٢٨.

(٢) دوامة الرحيل: ٢١٥.

(٣) ينظر: قاموس الفكر السياسي، مجموعة من المختصين: ٢١٤/١.

(٤) دوامة الرحيل: ٢٢٩.

(٥) دوامة الرحيل: ٢٢٠.

والمساهمة في إعادة الإعمار إلى غير ذلك، قال بعض الباحثين: "أما خصومهم فإنهم يرون أنّ البشر أدنى من أن يُحكموا بحكمة، فيجب أن يخضعوا لعناصر أخرى أعلى (ارستقراطية)، أو لمبدأ مجرد: العقل، العدالة، القانون، الحقّ مثلاً، و ج.س. مثل وي. ديوي، يريان أنّ الديمقراطية تقتضي إخضاع العنصر العاطفي للعقلاني لدى المواطنين، وهو هدف التربية الوطنية"^(١).

تقول الراوية: "لا تتعجل الحكم. سؤالي الأول هو: ألم يكن الشعب الأمريكي هو من انتخب رئيسه ومجلسي النواب والشيوخ؟". نسي أنّها الفتاة التي حلم بها ليلة أمس، صارت ندّاً صعباً في مناقشة سياسية، "طبعاً، لكن نظامنا الانتخابي معقد..."

ردّت بسخرية الواثق من نفسه، "أعرف نظامكم الانتخابي، ربما أكثر منك، فلقد كان لدي الوقت الكافي للتمعّن به بعد الاحتلال. لكن ألم يكن الشعب هو من انتخب من اتخذ قرارات الحرب؟ ولولايتين متتاليتين؟"

- "هذا صحيح.."

- "سؤالي الثاني: ألم يكن جميع جنود الاحتلال من المتطوعين الذين اختاروا ارتكاب هذه الجرائم؟"

- "لقد خدعهم.."

أطلقت ضحكة ساخرة، "لا تكن ساذجاً.. الحرب هي الحرب. وقد اختار كلّ منهم المشاركة فيها بمحض إرادته. ولو أنّها لم تكن حرباً بين جيشين متعادلين، أو في الأقلّ بين جيشين متقاربي القوة. بل كانت مجزرة تدار عن بُعد، صواريخ تُطلق عن بعد كيلومترات لتدمّر وتقتل. أليس كذلك؟"^(٢).

يشير رد (لينك) بقوله: (لقد خدعهم) ربّما إلى ماكينة الإعلام الأمريكي المضلل للرأي العام، أو إلى مخاطر هيمنة الأغلبية، التي أشار إليها جون ستيوارت مل، وإليكس رونوكفيل: "وهي وجهة نظر امتدّ بها في القرن العشرين ليبراليون معادون للديمقراطية غير المحدودة"^(٣).

في حين يشير نص إباء إلى ديمقراطية المساواة، التي يؤكّد أصحابها على دور: "المساواة، والعدالة الاجتماعية في الديمقراطية، وهم يرون أنّ الملكية العامة والخبرات المشتركة أسس صالحة للمساواة السياسية والقانونية التي تستند إليها الديمقراطية"^(٤).

تقول الراوية: "أحنى لينك رأسه، ولم يحر جواباً. انتظرت برهة ثم قالت وهي تكظم غيظها، "هل

(١) قاموس الفكر السياسي، مجموعة من المختصين: ٢٠١٦/١.

(٢) دوامة الرحيل: ٢٣١.

(٣) قاموس الفكر الساسي، مجموعة من المختصين: ٣١٨/١.

(٤) م.ن: ٣٢٠/١-٣٢١.

تريد مني أن أصافح القتلة والمجرمين؟ هل تريد أن أشكر لهم صحة ضميرهم الذي لم يصح، لكنهم فوجئوا حين لم يجدوا عملاً يمارسونه بعد عودتهم من حفلات المجون الإجرامي، وكانت البطالة هي مصيرهم؛ لأن من أرسلهم لقتل العراقيين، لا يريد هؤلاء القتلة في عقر داره يهدد أمن مجتمعه. إذ لا مكان لهم فيه، وهم لا يعرفون أيّة مهنة سوى القتل والنهب والاعتصاب. "تمهلت قليلاً ثم أردفت بسخرية مرة، تلك هي المعضلة التي تواجهها منظماتكم، كيف يجدون عملاً شريفاً لمن لا يعرف الشرف. هل تريد مني أن أقول كل هذا للتجمع البريء من كل الذنوب؟ ومن منهم سيفهم ما أقول؟"

أحسّ أنها أفحمتها بالمنطق الذي تطرحه، "ربّما لن يفهموا...". ردّت بازدراء، "بالضبط. حتى أنت لن تفهم. "تتهدت ثم قالت بيأس، "أرجوك دعني لشأني"^(١).

يشير هذا النص إلى أنّ مشكلة السياسة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر أصبحت عدوانية ولاسيما ضدّ الإسلام والمسلمين، الذين صورتهم الآلة الإعلامية بأنهم وحوش وبرابرة وأشرار يجب القضاء عليهم وإبادتهم، وتدمير دولهم، بدليل أنّ الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن قسّم العالم على قسمين خير وشرير. أما القسم الخير فهو الذي يتشكّل من الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموماً، فضلاً عن إسرائيل، مقابل القسم الشرير وهو ذلك المسمّى بالإرهاب الإسلامي، الذي يشمل دولاً ومنظمات وأفراد. وعلى العالم أن يحارب هذا العدو فلا خيار آخر. إمّا مع الغرب أي الحضارة والمدنية، وإمّا مع الهمجية والتخلف والقتل المتمثل في العالم الإسلامي؟^(٢).

والملاحظ أنّ البطلة تعكس هذه المعادلة وتتغلّب على الخصم المضلّ بالإعلام الأمريكي باستعمال الحجج القوية والبراهين التي تفحم الخصوم، لقولها: (أحسّ أنها أفحمتها بالمنطق الذي تطرحه)، بأنّ الحكومات الأمريكية تقاوم جنود مجرمين، تقتل بهم وتقتلهم، ولا يريدون الرجوع بهم إلى وطنهم، وعليه سيكون الاحتجاج ضرباً من العبث.

وتقول الراوية أيضاً: "استدارت للابتعاد، لكنّه تشبّث بذراعها، "أرجوك، لا تغادري، ربما كان الفهم صعباً عليّ، لكنّي أريد معرفة رأيك..". ضحكت بسخرية، "هذا ليس رأياً.. هذا واقع عشته وعاشته الملايين من العراقيين معي. دعني لشأني يا إيستود واذهب لشأنك، فأنت لا تعرف الحياة كما خبرتها." - "أرجوك.. أريد معرفة الحقيقة..".

توقّفت وفكرت برهة، ثم فتحت ملفاً في اللابتوب، عرضت له صورة، "هل ستكون هذه المجنّدة من بين النادمين على ما فعلوا؟ هل ترى ابتسامتها العريضة وهي ترفع شارة النصر؟ هل تصدق أنّها

(١) دوامة الرحيل: ٢٣٢.

(٢) ينظر: تحليل النزاعات الدولية، حسين بوقارة وآخرون: ١٣٧.

تشعر الآن بالندم لما فعلت؟. صاح بغضب، "لماذا تحتفظين بصورة هذه الساقطة عندك؟" (١).

أصبحت الأدلة والبراهين معززة بالوثائق والصور، والصورة سلاح، أقوى من ألف كلمة، الصورة سلطة، لذلك عندما سادت سمي العصر سيادتها بـ (عصر الصورة، وحضارة الصورة)، الصورة ليست فقط بألف كلمة، بل بمليون كلمة وتقوم الصورة بعدة وظائف: "من بينها توثيق ورصد الأحداث، وتوقيف الزمن للحظات، وإثارة كثير من الأحاسيس، والخيالات، ومساعدة المرء في استدعاء الماضي ومعايشته، كما تمكنه من التفكير في مستقبله وتنشيط خياله، ومساعدته على التحرك عبر إطار زمني ممتد ومنفتح، ومن التفاعل مع أشخاص يوجدون في أماكن بعيدة... فضلاً عن كون الصورة أكثر قدرة على ترجمة المشاعر وملامسة العواطف" (٢).

وتقول الراوية: "ردت بهدوء، "بل أحفظ صورة الرجل الذي تحتفل بانتصارها بقتله. أترى هذا الرجل الذي قتلوه في أبي غريب؟ هل سأل أحدهم من يكون؟ ما اسمه؟ ما عمله؟ ما تحصيله العلمي؟" حدّقت بعينيه. وأردفت بسخرية مريرة، "لا أظنّ. ألم تلاحظ أنك لم تراه، بل رأيت المجنّدة الضاحكة. "وواصلت بقسوة حادة، "لأنه ليس مهماً بنظرك...". ظلّ يحدق مشدوها بوجه القتيل. تساءل بهمس متحشرج، "من هو؟" (٣).

والصورة هي صورة أبيها الذي قتله الأمريكيان بتهمة الإرهاب، وكتب الأطباء العسكريون سبب وافته (فشل كلوي)، ولكنّ الأطباء العراقيين أثبتوا أنّ سبب الوفاة هو الموت تحت التعذيب، وقد قدّمت إباء وثيقة بتقرير الأطباء العراقيين، في مقابلتها مع (وولكر) الذي فضّل الأطباء الأمريكيان على الأطباء العراقيين، وفندت البطلة هذا الحكم السريع.

تقول الراوية: "نفخ بما يشبه الازدراء، "من المؤكّد أنّ الأطباء العراقيين منحازون لإدانة القوات الأمريكية، كما أنهم لا يملكون المؤهلات العلمية التي يتمتع بها أطباء القوات المسلحة...".

كبحت غضبها المتصاعد، وحافظت على رباطة جأشها، وعرضت عليه مؤهلات الأطباء العراقيين الموقعين واحداً بعد الآخر، "هذا خريج جامعة ستانفورد، وهذا خريج الكلية الملكية البريطانية، وهذا... وهذا...". لم يحر ردّاً. فكر طويلاً، "وماذا تتوین القيام به بهذا الشأن؟". لم تفهم، "ماذا تقصد؟"

ابتسم، "هل تتوین إقامة دعوى قضائية على القوات الأمريكية مثلاً؟". ابتسمت بحزن، "ومن سيسمع شكواي؟" هزّت رأسها بئأس، "كلا، أنوي الاحتفاظ بهذه الصور لنفسني.. ولمن يسأل عن سبب عدم

(١) دوامة الرحيل: ٢٣٢.

(2) The image through the ages and the technology revolution, Heba Al-Tawab Farraj Hussein, research published, p116-117.

(٣) دوامة الرحيل: ٢٣٣.

تفوّقي في سنة التخرج، مثل حضرتك^(١).

رابعاً: البيئة وسياسة ما بعد الحادثة:

على الرغم من أنّ لينك كان يُحبّ إباء، وقد استجابت له أحياناً حتى راقصته وتقبّلت الهدايا منه، وأخذ يزورها في الكوخ، لكن هناك كثير من العقبات وقفت حيال استمرار هذا الحبّ، ذكرتها الراوية بقولها: "لو كان عراقياً، أو عربياً، أو حتى مسلماً، لربّما كان ثمة احتمال أن لا تصارع مشاعرها، لكنّه يختلف عنها جذرياً. وكلّ موانع الأرض تقف بينهما، ولا يمكن تجاوزها. ضحكت إباء بسخرية، "مرة أخرى، أعيش قصة حبّ تنتهي قبل أن تبدأ"^(٢).

ومن أهمّ أسباب عدم استمرار الحبّ بين المرأة الشرقية والرجل الغربي هو أنّ (لينك) كان يعيش واقع ما بعد الحادثة الغربية، إذ يرى بعضهم أنّ: "ما بعد الحادثة -بإصرارها على أنّ كلّ شيء خاضع للصيرورة، وأنّ الواقع تعددي- أيديولوجيا ثورية تعددية، لكن ما لا يدركه هؤلاء وهو أنّ ما بعد الحادثة هي دعوة للتسوية لا للمساواة، وأنّ تعدديتها هي إنكار المعيارية، ولأية نظم من أيّ نوع، قد تأخذ شكلاً بروميتياً في رفض فكرة الإله المتجاوز، لفكرة القداسة، مع أنّ مضمونها معادٍ للإنسان بإنكارها إياه، ومركزيته وفكر الطبيعة البشرية، وهي بذلك تأخذ شكلاً رجعيّاً، فهي أيديولوجيا القبول البرجماتي للوضع القائم والإذعان والخنوع له والتكيف معه، أي اللعب مع الواقع بدلاً من تغييره"^(٣).

أمّا الواقع الشرقي فهو مختلف تماماً، إذ يؤمن بمركزية الله والدين الذي جوهره أخلاقي وشكله الطقوس، والأخلاق الدينية مركزية وموضوعية، وأحد أبسط أنواع الموضوعية هو القول: بأنّ الخير والشرّ يعتمدان على إرادة الله؛ لذلك لا يُعرّف الخير بأنّه ما يسرّ الإنسان، بل هو ما يسرّ الله، وذلك موقف مستقل عن أية حالة ذهنية للإنسان، بمعنى أنّ الأخلاق المطلقة ليست ذاتية كالقيم الاقتصادية المادية المرتبطة بأمور الدنيا، التي نشارك بها الحيوان، الذي يُدرك مثلاً قيمة أشياء مادية كالطعام والمأوى، والخوف من المخاطر فيتجنبها^(٤).

تقول الراوية: "لو قالت أمها كلمة واحدة، لاتخذت القرار بالفراق عنه بلا تردد، لكن رديّة لم تساعدنا بالرفض، لا بل يبدو أحياناً، كأنّها تشجعها على القبول بالزواج منه.. هذا إنّ خطرت مثل هذه الفكرة في ذهنه. ابتسمت إباء بسخرية من أمل بدا لها أبعد من نجوم السماء. فهي على يقين أنّ لينك لا يريد زوجة تقيد حريته في الحركة والسفر والإبداع. وهي لا تريد أن تكون رقماً في دفتر هاتفه، يتصل

(١) دوامة الرحيل: ١٦٩.

(٢) دوامة الرحيل: ٢٣٤.

(٣) الحادثة وما بعد الحادثة، د. عبد الوهاب المسيري، ود. فتحي التريكي: ٩٣.

(٤) ينظر: الدين والعقل الحديث، د. ولتر ستيس: ٥١-٥٢.

بها حين يشاء.. ويهملها حين يملُّ منها^(١).

يشير هذا النص إلى تحطيم معيار مؤسسة الزواج في الثقافة الغربية، وحلّ محلّه نشدان اللذة بأسلوب الزنى الذي قد ينقطع، وقد يُتوجّ لاحقا بالزواج الذي يكون فيه الرجل ليس مركزا، إذ طردته حداثة المجتمع الغربي وجعلته هامشا للأسرة، ما جعل: "التحديث يحمل بلبلّة كبيرة واستياء كبيرا... التحديث بتنميته السريعة للتربية والاتصال، يزيد الآمال في حياة أفضل زيادة أسرع من التقدّم المادي ويخلق بذلك الإحباط والعدوان... إنّ التنسيق بين المؤسسات الاجتماعية- السياسية، والاقتصادية والتربوية والثقافية- لا الآمال الفردية فقط، فقد لحقتها البلبلّة من جراء اتجاه بعض القطاعات إلى تحديث ذاتها أسرع من القطاعات الأخرى^(٢)."

وهناك حاجز اللغة الأصلية، التي تجعل مختلفي الألسن يتصوّنون العالم بطرق مختلفة، تقول الراوية: " ابتسم بحيرة، "مرة أخرى تطرحين علي أسئلة لا أعرف الإجابة عنها...". ابتسمت بحزن، "ألم أقل أنك لن تستطيع فهمي؟ ألم أقل أننا نتحدّث بلغتين مختلفتين؟" تنهدت، وأغمضت عينيها، "الامر ببساطة أنّي أتحدّى نفسي في الانتهاء من الكورسات بأقصر مدة، وأرفض التراجع أمام الصعوبات..."^(٣).

يشير هذا النص إلى بيان أهمية حياة الجدّ للبلبلّة التي لغتها الأم هي العربية وهي نفسها لغة القرآن الكريم، مقابل حياة اللهو لـ(لينك)، ويأتي اختلاف اللغات مركزيا لتشوّه الواقع الذي يعيشه لينك، والذي يتكلم اللغة الأمريكية، إذ تشير فرضية سابير إلى أن: "هناك علاقة بين اللغة التي يتكلمها الإنسان والكيفية التي يرى فيها هذا الإنسان العالم، فلا غرابة أن يرى الإنسان الأمريكي -حتى إذا كان فيلسوفا لغويا مثل إدوارد سابير وبنيامين لي ورف نفسيهما- أنّ معنى الأشياء في العالم الخارجي يُستعصى على اللغة أن تُغطيه، فلغتهما نفسها قائمة على الاعتبارية بشكل مربك"^(٤).

والمجتمع الأمريكي مجتمع طبقي يضمّ قلة من الأفراد المترفين الذين يستحوذون على المال، وكثرة من العاطلين عن العمل والفقراء، وهذه الطبقة ينعكس أثرها على السياسة؛ لأنّ من شروط الديمقراطية المساواة بالثروات، يقول روسو: "الترف إمّا أن يكون نتيجة الثروات، وإمّا أن يجعلها ضرورية، والترف يُفسد الغني والفقير معاً، الأول عن حيازة، والآخر عن رغبة، والترف يبيع الوطن من التخنث والتباهي، والترف ينزع عن الدولة جميع مواطنيها ليجعل بعضهم عبيدا لبعض، ويجعل الجميع عبيدا

(١) دوامة الرحيل: ٣٥٣-٣٥٤.

(٢) قاموس الفكر السياسي، مجموعة من المختصين: ٢٠٥/١.

(٣) دوامة الرحيل: ٢٦١.

(٤) تأملات في فلسفة اللغة، خصوصية اللغة العربية وإمكاناتها، د. عمر ظاهر: ٤٤.

للرأي العام^(١)

وفي هذا السياق يقرر مدرس الرسم (جاك) هجران عشيقته (جاكلين) التي طلبت منه الزواج فرفض تهرباً من المسؤولية، واتهمها بأنها برجوازية^(٢)، تقول الراوية: "أرادت أن نتزوج وننجب ونعيش حياتنا.. لكنني كنت شاباً يملأه الطموح، فترددتُ في الزواج منها. أردتُ أن نظلّ فراشتين تطيران مع النسّمات، لا يتقلّ عليهما همٌّ أو مسؤولية. لكنّها أرادتُ أن تمدّ جذورها في الأرض، فرحلت إلى ليون وعملت معلمة رسم في المدرسة المحلية، ثم تزوجت وأنجبت."

- "وأنت؟ هل ندمت على قرارك؟". تنهّد، "في البداية وصفتها بالحمقاء، البرجوازية. بقيت وحدي، فراشة تطير في سماوات الحرية...، إلّا أنني كبرتُ وعاندتُ. وصاحبتُ أكثر من واحدة لأقنع نفسي أن لجاكلين أكثر من بديل"^(٣).

يشير هذا النص إلى ثقافة ما بعد الحداثة التي تأثر بها هذا الفرنسي كغيره من الغربيين، فهو لا يؤمن بمؤسسة الأسرة الشرقية التي تؤكد مركزية الرجل في سياسية المرأة وأطفالها، إذ يحميهم وينفق عليهم المال، ويربيهم ليكونوا للأبوين عوناً في شيخوختهم، وهينت عليه فكرة جعل المرأة الحبيبة دمية تتلقفها أحضان الرجال، لأنّ الواقع على وفق ثقافة ما بعد الحداثة لا اتجاه له، ولأنّ الحقائق منفصلة عن القيم، لذلك لا يمكن قيام أيّة معيارية، ولا يمكن تأسيس نظم أخلاقية عامة، وإنّما يمكن تأسيس اتفاقات محدودة الشرعية تتحدد في ضوء الوظيفة والنتيجة، التي تأخذ شكل فلسفة القوة والهيمنة للأقوياء، والتكيف والإذعان للضعفاء، إذ لا توجد معايير قيمة متجاوز للإنسان، ولا توجد وسيلة لتعريف الظلم والعدل^(٤).

(١) العقد الاجتماعي، جان جاك روسو: ٩٦.

(٢) البرجوازية: "مصطلح يدل بالنسبة للماركسيين على طبقة الرأسماليين التي غالباً ما تدخل فيها المجموعات المهنية القائدة المرتبطة بمصلحة اقتصادية مباشرة، أو بعلاقات اجتماعية بالذين يملكون رأس المال". قاموس الفكر السياسي، مجموعة من المختصين: ١/٢٢٧.

(٣) دوامة الرحيل: ٣٤٦.

(٤) ينظر: الحداثة وما بعد الحداثة، د. عبد الوهاب المسيري، ود. فتحي التريكي: ٩٤.

المصادر والمراجع

١. الحمد، رشيد، ومحمد سعيد صبارني. البيئة ومشكلاتها. سلسلة عالم المعرفة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٩م.
٢. الحمداني، حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية).
٣. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٠م.
٤. الحموي، ابن حجة (ت ٨٣٧هـ). خزانة الأدب وغاية الأرب. تحقيقات مختلفة، تاريخ غير مذكور.
٥. الخلايلة، رضا محمد. أهمية تدوير النفايات وأنواع إعادة التدوير. بحث منشور، تاريخ غير مذكور.
٦. الدليمي، لطيفة. حديقة حياة (نموذج في النسوية الإيكولوجية). (وَرَدَت إشارة في سياق نسق النسوية البيئية)، تاريخ غير مذكور.
٧. الدويدري، رجاء وحيد. البيئة مفهوماً العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي.
٨. الكويت: دار الرسالة، د ط، ١٩٨٢م.
٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ). سير أعلام النبلاء. بيروت: مؤسسة الرسالة، أو طبعات أخرى، تاريخ غير مذكور.
١٠. الزبيدي، السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس.
١١. تحقيق: علي شيري. بيروت: دار الفكر، ط٢، تاريخ غير مذكور.
١٢. الزمخشري، جار الله أبو القاسم بن عمرو (ت ٥٣٨هـ). أساس البلاغة.
١٣. بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م.
١٤. السعدي، ناصرة. (مقابلة أو نصوص منشورة متعددة).
١٥. "ناصر السعدون... أدبية عراقية بكت الهجرة، فماتت بغربتها"، متاح على: رابط منشور
١٦. موقع الاستقلال و"ناصر السعدون، استضافة إيمان البستاني" على موقع إيلاف
١٧. (تواريخ متفاوتة). السيد، إبراهيم جابر. محاسبة التلوث البيئي. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٩م.
١٨. الشامسي، عائشة جمعة. الشعر الإماراتي في ضوء النقد الأدبي البيئي.
١٩. (دراسة أو أطروحة)، تاريخ غير مذكور.
٢٠. الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ). (إن ورد له نصّ أو اقتباس ديني).
٢١. (غير مذكور في تفاصيل عناوين الكتب أعلاه، اكتفي بالإشارة لمنهجية).
٢٢. الشكعة، مصطفى. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه. بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٧٩م.
٢٣. الشنطي، محمد صالح. الرواية العربية. حائل: دار الأندلس، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٤. شلوح، رواء جليل. البيئة من ثقافة المحيط إلى ثقافة النص. بحث منشور في مجلة الأديب العراقي،

- (دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت... إلخ)، تاريخ غير مذكور.
٢٥. صالح، محمد مهدي الراوي. درء المجاعة عن العراق، مذكراتي عن سنين الحصار (١٩٩٠-٢٠٠٣م). (لم ترد بيانات نشر مفصلة).
٢٦. صليبا، جميل. المعجم الفلسفي. قم: مطبعة سليمان زاده، ط١، ١٣٨٥هـ.
٢٧. عجمي، محمد عبد السلام محمود. الوعي البيئي لدى طلاب جامعة الأزهر.
٢٨. أطروحة دكتوراه، تاريخ غير مذكور
٢٩. عقّاد، عباس محمود (ت ١٩٦٤م). اللغة الشاعرة. القاهرة: دار الهلال، تاريخ غير مذكور.
٣٠. عنتر بن شداد (ت ٦١٥م). ديوان عنتر. تحقیقات مختلفة، تاريخ غير مذكور.
٣١. الغزالي، أبو حامد (ت ٥٠٥هـ). المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.
٣٢. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، أو غيرها، تاريخ غير مذكور.
٣٣. ٤٦- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة، أو أخرى، تاريخ غير مذكور.
٣٤. القاق، أدهم مسعود. سيميائية الطعام بين التراث والرواية العربية الحديثة. القاهرة: مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، ط١، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م.
٣٥. القاضي، وليم فان أكونور. النقد الأدبي. ترجمات عربية مختلفة، تاريخ غير مذكور.
٣٦. الكرداوي، علي. أثر الانطمار الوظيفي في العلاقة بين رأس المال النفسي التنظيمي ومستوى الشعور بالاحتقان التنظيمي... بحث منشور، تاريخ غير مذكور.
٣٧. لالو، شارل. الفن والحياة الاجتماعية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٥م.
٣٨. لالاند، أندريه. موسوعة لالاند الفلسفية (A-G). ترجمات عربية مختلفة، منها: مجلد أول، تونس: دار سيناترا، تاريخ غير مذكور.
٣٩. مكسح، دليلة. البيئة في الشعر الجرائري المعاصر. أطروحة دكتوراه، تاريخ غير مذكور.
٤٠. المراياتي، كامل جاسم. مقدمة في علم التبيؤ البشري (الإيكولوجيا البشرية). (إشارة مقتضبة وردت برقم ١٦ في النص)، تاريخ غير مذكور.
٤١. المريش، محمد حسام. التلوث البصري وأثره في تشويه البيئة العمرانية لمدينة السلط.
٤٢. بحث منشور، تاريخ غير مذكور.
٤٣. مقلد، محمد علي. الشعر والصراع الإيديولوجي. بيروت: دار الآداب، ط١، ١٩٩٦م.
٤٤. المناوي، رمزي. الفوضى الخائفة، الربيع العربي بين الثورة والفوضى. (دراسة أو بحث)، تاريخ غير مذكور.
٤٥. النجار، محمود. قانون اجتثاث البعث يخلق أزمة في الأوساط العراقية.. فهل يلغى؟

٤٦. مقال متاح على: www.tatarabi.com (تاريخ النشر غير مذكور).
٤٧. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ). (إن وردت إشارة لسنة أو غيرها، غير مذكور تفصيلاً).
٤٨. النشار، مصطفى. مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الإيكولوجية المعاصرة.
٤٩. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط ١، ٢٠١٤م.
٥٠. النوتي، زكريا عبد المجيد. الذئب في الأدب القديم. (دراسة أو بحث)، تاريخ غير مذكور.
٥١. هندي، ستيفن سميث. الاقتصاد البيئي. ترجمة عربية غير محددة، تاريخ غير مذكور.
٥٢. هان، مايكل زيمرمان (Zimmerman, Michael). الفلسفة البيئية، من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠٧م.
٥٣. دراسات في نقد الرواية. القاهرة: دار الفكر العربي، تاريخ غير مذكور.
٥٤. وarden، كارين ج. (Karen J. Warren). قوة ووعد النسوية الإيكولوجية.
٥٥. ضمن كتاب: الفلسفة البيئية (لمايكل زيمرمان) ص ١١٠-١١٢، ترجمة مختلفة.
٥٦. ويسلنج، لويس. الأدب والبيئة، رسالة ما بعد الإنسان. (بحث مترجم) عبد الرحمن طعمة، تاريخ غير مذكور.
٥٧. وولف، فرجينيا. غرفة فرجينيا وولف، دراسة في كتابة النساء. (إشارة في سياق النقد النسوي الإيكولوجي)، تاريخ غير مذكور.
٥٨. إصدارات/أطاريح أخرى مقتبسة في النص أثر النزاعات على البيئة، وسبل الحد من الآثار السلبية (حالة اليمن) - د. عبد القادر محمد الخراز.
٥٩. التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وعلاقتها بالجرائم المستحدثة في المجتمع الأردني - زيد البنوي.
٦٠. محاضرات في النقد الاجتماعي - إعداد: د. حفيظة بن قانة. الخ... (اكتفي بالعناوين لعدم وجود بيانات نشر كاملة).
٦١. دوامة الرحيل . للكاتبة العراقية ناصرة السعدون، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في الطبعة الأولى عام ٢٠١٤م.
- ٦٢.فاعلية النص السرد في ميزان النقد البيئي (د. شيماء جبار علي).
٦٣. إبراهيم، عبد الله. المتخيل السرد: دراسات في الرواية العربية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢.
٦٤. الحموي، ابن حجة (ت ٨٣٧هـ). خزانة الأدب وغاية الأرب. تحقيقات مختلفة، تاريخ غير مذكور.

References

1. Al-Hamad, Rashid, and Mohammad Said Sbarni. The Environment and Its Problems. World of Knowledge Series. Kuwait: National Council for Culture, Arts, and Letters, 1979.
2. Bahrawi, Hassan. The Structure of the Novelistic Form: Space – Time – Character. Casablanca: Arab Cultural Center, 1st ed., 1990.
3. Ibn H̥ijja al-Ḥamawī (d. 837 AH). Khizānat al-Adab wa Ghayat al-Arab (The Treasury of Literature). Various editions, no date available.
4. Al-Khalayleh, Rida Mohammad. The Importance of Waste Recycling and Types of Reuse. Published paper, no date available.
5. Al-Dulaimi, Latifa. Garden of Life: A Model of Ecofeminism. Referenced in context of ecofeminist framework, no date available.
6. Al-Duwaydari, Raja Wahid. The Scientific Concept of the Environment and Its Intellectual Depth in Heritage. Kuwait: Dar al-Risalah, n.d., 1982.
7. Al-Dhahabi, Shams al-Din Mohammad ibn Ahmad (d. 748 AH). Siyar A‘lam al-Nubala’ (Biographies of Noble Figures). Beirut: Al-Risalah Foundation, or other editions, no date provided.
8. Al-Zubaidi, Sayyid Mohammad Murtada (d. 1205 AH). Taj al-‘Arus min Jawahir al-Qamus (The Bride’s Crown from the Jewels of the Lexicon). Edited by Ali Shiri. Beirut: Dar al-Fikr, 2nd ed., no date.
9. Al-Zamakhshari, Jar Allah Abu al-Qasim ibn Umar (d. 538 AH). Asas al-Balagha (The Foundation of Eloquence). Beirut: Dar Sader, 1979.
10. Al-Sa‘doun, Nasira. Dawamat al-Raheel (The Vortex of Departure). Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st ed., 2014.
11. “Nasira Al-Sa‘doun... An Iraqi Writer Who Wept for Migration, and Died in Exile.” Published online, various dates.
12. Source: Al-Istiqlal website
13. Interview: “Nasira Al-Sa‘doun hosted by Iman Al-Bustani” on Elaph.com
14. Al-Sayyid, Ibrahim Jaber. Accounting for Environmental Pollution. Alexandria: Modern University Office, 1989.
15. Al-Shamsi, Aisha Jum‘ah. Emirati Poetry in Light of Eco-Criticism. Thesis or study, no date available.
16. Al-Shafi‘i, Mohammad ibn Idris (d. 204 AH). [Referenced in religious/legal context if quoted.]

17. Al-Shak‘ah, Mustafa. *Andalusian Literature: Its Themes and Artistic Forms*. Beirut: Dar al-‘Ilm lil-Malayin, 4th ed., 1979.
18. Al-Shanti, Mohammad Saleh. *The Arabic Novel*. Hail: Dar Al-Andalus, 1st ed., 2004.
19. Shlouhi, Rawaa Jalil. *The Environment: From Surrounding Culture to Text Culture*. Published in *Al-Adib Al-Iraqi Journal*, various locations, no date.
20. Saleh, Mohammad Mahdi Al-Rawi. *Famine Prevention in Iraq: My Memoirs during the Years of Sanctions (1990–2003)*. No detailed publication data.
21. Saliba, Jamil. *Philosophical Dictionary*. Qom: Suleiman Zadeh Press, 1st ed., 1385 AH.
22. Ajmi, Mohammad Abdulsalam Mahmoud. *Environmental Awareness among Al-Azhar University Students*. PhD Dissertation, no date.
23. Aqqad, Abbas Mahmoud (d. 1964). *The Poetic Language*. Cairo: Dar Al-Hilal, no date.
24. Antarah ibn Shaddad (d. 615 CE). *Diwan of Antarah*. Various editions, no date.
25. Al-Ghazali, Abu Hamid (d. 505 AH). *Al-Maqsad Al-Asna fi Sharh Asma’ Allah Al-Husna*. Cairo: ‘Isa Al-Babi Al-Halabi Press, or others, no date.
26. Al-Fayruzabadi, Majd Al-Din Mohammad ibn Ya‘qub (d. 817 AH). *Al-Qamus Al-Muhit*. Beirut: Al-Risalah Foundation, or other editions, no date.
27. Al-Qaq, Adham Masoud. *The Semiotics of Food between Heritage and the Modern Arabic Novel*. Cairo: Levant Center for Cultural Studies and Publishing, 1st ed., 1445 AH / 2024.
28. O’Connor, William Van. *Literary Criticism*. Various Arabic translations, no date.
29. Al-Kardawi, Ali. *The Impact of Functional Burial on the Relationship between Organizational Psychological Capital and the Level of Organizational Congestion*. Published research, no date.
30. Lalo, Charles. *Art and Social Life*. Casablanca: Arab Cultural Center, 1st ed., 2005.
31. Lalande, André. *Lalande Philosophical Encyclopedia (A–G)*. Arabic translations, Vol. 1, Tunisia: Sinatra Publishing, no date.
32. Maksah, Dalila. *The Environment in Contemporary Algerian Poetry*. PhD Dissertation, no date.
33. Al-Marayyati, Kamil Jassim. *Introduction to Human Ecology*. Referenced briefly in text (ref. no. 16), no date.

34. Al-Marish, Mohammad Hossam. Visual Pollution and Its Impact on the Urban Environment of Salt City. Published study, no date.
35. Moqallad, Mohammad Ali. Poetry and Ideological Conflict. Beirut: Dar Al-Adab, 1st ed., 1996.
36. Al-Manaw Ramzi. Creative Chaos: The Arab Spring between Revolution and Disorder. Study or research, no date.
37. Al-Najjar, Mahmoud. The De-Baathification Law Creates a Crisis in Iraqi Circles... Will It Be Canceled? Available at: www.tatarabi.com, no publication date.
38. Al-Nasa'i, Abu Abd al-Rahman Ahmad ibn Shu'ayb (d. 303 AH). [Referenced through Sunan or other works, no full citation details.]
39. Al-Nashar, Mustafa. Introduction to Environmental Philosophy and Contemporary i, Ramzi. Creative Chaos: The Arab Spring between Revolution and Disorder. Study or research, no date.
40. Al-Najjar, Mahmoud. The De-Baathification Law Creates a Crisis in Iraqi Circles... Will It Be Canceled? Available at: www.tatarabi.com, no publication date.
41. Al-Nasa'i, Abu Abd al-Rahman Ahmad ibn Shu'ayb (d. 303 AH). [Referenced through Sunan or other works, no full citation details.]
42. Al-Nashar, Mustafa. Introduction to Environmental Philosophy and Contemporary Ecological Doctrines. Cairo: National Center for Books and Documents, 1st ed., 2014.
43. Al-Nouti, Zakariya Abdul Majid. The Wolf in Classical Literature. Study or research, no date.
44. Handy, Steven Smith. Environmental Economics. Unspecified Arabic translation, no date.
45. Zimmerman, Michael. Environmental Philosophy: From Animal Rights to Deep Ecology. University Institute for Studies and Publishing, 2nd ed., 2007.
46. Studies in Novel Criticism. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, no date.
47. Warren, Karen J. The Power and Promise of Ecofeminism. In: Environmental Philosophy (ed. Michael Zimmerman), pp. 110–112. Various translations.
48. Wessling, Louis. Literature and the Environment: A Posthumanist Message. Translated by Abdul Rahman Tu'meh, no date.
49. Woolf, Virginia. A Room of One's Own: A Study in Women's Writing. Referenced in the context of ecofeminist criticism, no date.
50. Al-Kharraz, Abdul Qadir Muhammad. Impact of Conflicts on the Environment: Yemen Case Study. Cited in the text.

51. Al-Bannawi, Zaid. Social, Economic and Cultural Changes and Their Relationship to Emerging Crimes in Jordanian Society. Cited in the text.
52. Bin Qana, Hafiza. Lectures in Social Criticism. Prepared for university use, no date.
53. Ali, Shaimaa Jabbar. Effectiveness of Narrative Text in the Balance of Environmental Criticism. Study, no date.
54. Ibrahim, Abdullah. Narrative Imagination: Studies in the Arabic Novel. Casablanca: Arab Cultural Center, 2002.
55. Ibn H̥ijja al-Ḥamawī (d. 837 AH). Khizānat al-Adab wa Ghayat al-Arab. Various editions, no date.
56. Al-Khalayleh, Rida Mohammad. The Importance of Waste Recycling and Types of Reuse. Published paper, no date.
57. Al-Dulaimi, Latifa. Garden of Life: A Model of Ecofeminism. Referenced in the context of ecofeminist frameworks, no date.
58. -Kharraz, Abdul Qadir Muhammad. Impact of Conflicts on the Environment: Yemen Case Study. Cited in the text.
59. Al-Bannawi, Zaid. Social, Economic and Cultural Changes and Their Relationship to Emerging Crimes in Jordanian Society. Cited in the text.
60. Bin Qana, Hafiza. Lectures in Social Criticism. Prepared for university use, no date.
61. Ali, Shaimaa Jabbar. Effectiveness of Narrative Text in the Balance of Environmental Criticism. Study, no date.
62. Ibrahim, Abdullah. Narrative Imagination: Studies in the Arabic Novel. Casablanca: Arab Cultural Center, 2002.
63. Ibn H̥ijja al-Ḥamawī (d. 837 AH). Khizānat al-Adab wa Ghayat al-Arab. Various editions, -Kharraz, Abdul Qadir Muhammad. Impact of Conflicts on the Environment: Yemen Case Study. Cited in the text.
64. Al-Bannawi, Zaid. Social, Economic and Cultural Changes and Their Relationship to Emerging Crimes in Jordanian Society. Cited in the text.